

الاغتراب في شعر المتلمس الضبّعي

Alienation in the Poetry of Al-Mutalmis Al-Dabai

م.د. جابر خميس عباس

المديرية العامة لتربية محافظة واسط

Jaber Kamees7@ gmail.com

والنفسية التي يعيشها المتلمس الضبّعي، في بلورة ظاهرة الاغتراب، وانعكاس أثرها في نصوصه الشعرية، والتي بدت قطعة من الحزن والالم والضياع والغربة، فانتسعت شفة معاناته واشتملت على جوانب الحياة المختلفة، فظهرت أنواعاً متعددة للاغتراب الذي يعيشه الشاعر ضمن تجربته الشعرية كالاغتراب الاجتماعي، والنفسي، والسياسي، والوجودي، والمكاني، وقد ولّد هذا الواقع الاغترابي تمزيقاً ذاتياً وعائقاً نفسياً أرقاً ذات الشاعر المغترية، مما زاد من احساسه بالغربة والاغتراب، فجاءت تجربته الابداعية صادقة وعميقة.

الكلمات المفتاحية: الشعر الجاهلي، الاغتراب الاجتماعي، الاغتراب النفسي، الاغتراب السياسي، الاغتراب الوجودي.

المخلص:

تهدف هذه الدراسة الى ابراز الجانب الانساني لظاهرة الاغتراب التي يعيشها الشاعر الجاهلي المتلمس الضبّعي، ومحالة استجلاء تلك الظاهرة، وبيان اهم تمظهراتها في شعره، من حيث ان الاغتراب هو تعبير الفرد عن انسلاخه وانفصاله عن محيطه المادي والفكري الذي يعيش فيه، اما بالانسحاب والعزلة، أو بالثورة والتمرد عليه والخروج عن الاعراف والقيم السائدة فيه، ومحاولة تغيير ذلك الواقع المؤلم من اجل التخلص من تلك المشاعر الاغترابية التي تعبت في نفسه.

ولما كان الشعر خارجاً من أعماق الشاعر، ومن تجربته الانسانية نتيجة لتأثره بعوامل متعددة خارجية وداخلية يمر بها، فقد أسهمت الظروف التاريخية والاجتماعية

Research Title: Alienation in the Poetry of Al-Muntalmis Al-Daba'i

Researcher name: M.D. Jaber Khamis Abbas

The General Directorate of Education of Wasit Governorate

Jaber Kamees7@gmial.com

Abstract:

Alienation in the Poetry of Al-Mutalmis Al-Dabai
Abstract This study aims to highlight the human aspect of the phenomenon of alienation experienced by the pre-Islamic poet Al-Mutamis Al-Dabai, and the impossibility of clarifying this phenomenon, and to show the most important manifestations in his poetry, in that alienation is the individual's expression of his alienation and separation from his physical and intellectual surroundings in which he lives, either by withdrawal and isolation, or by revolution and rebellion against it. Departing from the norms and values prevailing in it, and trying to change that painful reality in order to get rid of those alienated feelings that are messing with himself. And since poetry is outside the depths of the poet, and from his human experience as a result of his being affected by multiple external and internal

factors he is going through, the historical, social and psychological conditions experienced by the hyena have contributed to crystallizing the phenomenon of alienation, and the reflection of its impact in his poetic texts, which seemed to be a piece of sadness, pain, loss and alienation, thus widening his suffering apartment. It included the various aspects of life, thus showing various types of alienation experienced by the poet within his poetic experience Such as social, psychological, political, existential, and spatial alienation, and this alienated reality generated self-tearing and a psychological obstacle that insomnia the expatriate poet, which increased his sense of alienation and alienation, so his creative experience came honest .and deep

Keywords: pre-Islamic poetry, social alienation, psychological alienation, political alienation, .existential alienation

المقدمة:

ان هذا الموضوع يمثل دراسة لظاهرة انسانية قديمة عرفتھا المجتمعات الاولى، حاولت تسليط الضوء على هذه الظاهرة من منظور ادبي ، مع بيان رؤية الشاعر الجاهلي اتجاه معطياتها مختلفة. اذ تركز هذه الدراسة في حديثها الالاساس على تناول هذه الظاهرة عند الشاعر الجاهلي المتلمس الضبعي، من جوانبها الاجتماعية والنفسية والسياسية والوجودية والمكانية، وبيان موقف الشاعر من هذه الظاهرة، وكيفية تعامله مع تلك الظاهرة.

تكمن اهمية هذه الدراسة في انها تتناول ظاهرة انسانية عامة ذات تأثير في حياة الانسان ونشاطاته المختلفة، فقد استحوذت على اهتمام كثير من الباحثين في العصر الحديث، ودرسوها من جوانبها المختلفة الفلسفية والاجتماعية والنفسية، لكنها تلتقي جميعاً عند فكرة واحدة هي شعور الفرد بالانسلاخ والانعزال عن المجتمع الذي يعيش فيه، والتي تتحكم فيه وتفرض عليه قيود الحزن والالم والضياع وعدم الشعور بمغزى الحياة .

مفهوم الاغتراب لغةً واصطلاحاً:

الاغتراب لغةً:

تشير المعجمات اللغوية العربية إلى أن مصطلح (الاغتراب) مشتق من الجذر

للغوي (عَرَبَ)، وهو يدلُّ على البُعد والتّحي عن الناس. وقد عَرَبَ عَنَا يَعْزُبُ عَزْبًا، وَعَرَبَ وَأَعْرَبَ إِذَا نَحَاهُ، وَالْعَرْبَةُ، وَالْعَرَبُ: البُعد والنّوى، وغربة النّوى بُعدها، وَعَرَبَ: أَي بَعَدَ^(١).

ويقال: أَعْرَبَ عَنِي، أَي تَبَاعَدَ، وَالْعَرْبَةُ وَالْعَرَبُ: النّزوح عن الوطن، وَرَجُلٌ عُرْبٌ أَوْ غَرِيبٌ: غَرِيبٌ عَنِ وَطَنِهِ، وَالْأُنْثَى غَرِيبَةٌ^(٢).
ومن هنا يتضح أنّ لفظة (الاغتراب) في معناها اللغوي تدلُّ على البُعد ومفارقة الوطن، والغريب هو الإنسان البعيد عن وطنه.

الاغتراب اصطلاحاً:

من الصعب تحديد المعنى الاصطلاحي للاغتراب تحديداً دقيقاً، نظراً لاختلاف استعماله في البحوث الاجتماعية والدينية والدراسات الفلسفية وفي مجالات النشاطات الثقافية والأدبية وغيرها، وقد عرفه المستشرق (فروم) إذ يقول: " هو ما يعانيه الفرد من خبرة الانفصال عن وجوده الإنساني وعن مجتمعه وعن الأفعال التي تصدر عنه، فيفقد سيطرته عليها وتصبح متحكمه فيه، فلا يشعر بأنه مركز لعالمه ومتحكم في تصرفاته"^(٣).

فالاغتراب هو إخفاق الشخص في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع واللامبالاة وعدم الشعور بالانتماء، مما ينتج عنه فتور

على الفرد إزاء اقتتراف أي ذنب أو مخالفة تقاليد القبيلة أو محاولة الخروج عن نظامها، الأمر الذي يجعل الإنسان الجاهلي يحسُّ بالغرابة وهو ينأى عن مكانه الأصلي إلى مكان آخر غريب عنه. "ويظلُّ الاغتراب إحدى وسائل الكشف عن دقائق حياة الجاهلي وتفصيلها، وإحدى صور الغوص وراء معطيات عالمه الخاص، وقد حدا به إلى ضرب من الانطواء، أو عكس ذلك من الرغبة في تجاوز القيم، والانفتاح على مادة الواقع، أو غير ذلك من مواقف تحكيها لحظات الإحساس بالفقد أو الحرمان، أو معاشة عالم الضياع، أو الوقوف عند منطقة الاستسلام والانزمام، أو الإحساس بالقلق والاضطراب والتمزق، وغيرها من الأبعاد التي تحكي قصة الشاعر الجاهلي وصراعه مع عالمه الواقعي والشعري" (١).

وقد عانى شعراء الجاهلية الاغتراب بأنماطه المتنوعة، فقد قاسى امرؤ القيس تجربة الاغتراب عن الديار والوطن، حيث أمضى شطراً كبيراً من حياته شريداً طريداً بعدما أنكر عليه أبوه قول الشعر حينما تغزل بابنة عمه، وخرج مغضوباً عليه، وازدادت غرته حين قتل أبوه وتخلت قبيلته عن نجدته وحمايته من القتل، فتصدع انتماؤه لقبيلته، وانطلق غربياً وحيداً ينشد معيناً يساعده على أن يأخذ بثأر أبيه، ويسترد ملكه المسلوب، كما تجرع طرفة بن العبد مرارة الاغتراب هو

العلاقة الحميمة مع الأوضاع والأشخاص المحيطين، أو المجتمع ككل، وانهيار العلاقات الاجتماعية والشعور بالوحدة وانعدام التواصل مع الآخرين. مما ينجم عن الاغتراب شعور بالوحدة والفراغ النفسي، تؤدي بالمغترب إلى حالات من التمرد والعصيان والخروج عن الأعراف والقيم، ورفض الهوية الثقافية وقيم المجتمع، فتظهر لدى المغترب سلوكيات غير مألوفة، كالانسحاب والعزلة، وعدم المشاركة في المسؤولية الاجتماعية، والتمركز حول الذات، فيلازمه شعور بالقلق والاضطراب، وعدم الانسجام مع المحيط الذي يعيش فيه (٤).

الاغتراب في الحياة العربية قبل الإسلام:

يُعدُّ الاغتراب من الظواهر القديمة جداً التي تمتد جذورها إلى المجتمعات الإنسانية الأولى؛ بسبب الأزمات التي تتمخض فيها بشكل أو بآخر، وقد واجهها الفرد بحسب قدراته المادية والروحية، وقد كانت تقوده في بعض الأحيان إلى التمرد والعصيان، وفي أحيان أخرى إلى الاستسلام والانعزال عن الذات وعن الآخرين (٥).

لقد واكب الاغتراب حياة العربي منذ أن عرف الحياة حسننها وقبحها. لذا عانى من مرارة الاغتراب وضاقَ به ضرعاً، للتنقل المفروض عليه، بحثاً عن الكأ والماء، وأحياناً أخرى الأعراف التي تفرضها القبيلة

ولاً بُدُّ من الإشارة إلى أنَّ دراستنا هذه، ستقوم برصد ظاهرة الاغتراب عند المتملس الضبعي، بأنواعها المختلفة، متفاعلين معها، وسنحاول دراسة هذه الأنواع واستجلائها في اشعاره ، والذي نقل من خلالها إلى المتلقي تجربته الاغترابية المسكونه بهاجس التمييز والاغتراب والتفرد والثورية في كل ابعادها الشعرية ، الأمر الذي يؤدي إلى فهم الغرض الذي من أجله قال هذا النص الشعري.

أنواع الاغتراب:

إنَّ ظاهرة الاغتراب في المجتمع العربي قبل الإسلام لم تكن وليدة رغبة شاعر، أو تقليداً فنياً، إنما هو ظاهرة أوجدتها حالة من الصراع المُعبِّر عن افتقار الذات إلى الانسجام أو التوافق مع المتطلبات المادية والمعنوية للذات المغتربة اذ يصعب نجم هذه الذات والحد من انطلاقها ويحثها عن فرديتها الخاصة .

تتعدد أنواع الاغتراب وتتشابك دوافعها في علاقات سببية نابغة من ظروف الحياة العامة التي يعيشها الإنسان المغترب، على نحو عام ، والشاعر على نحو خاص وفي ضوء ذلك يمكننا أن نقسم مضامين الاغتراب على أنواع متعددة، منها:

أولاً: الاغتراب الاجتماعي

يُعدُّ الاغتراب الاجتماعي واحداً من أبرز أنواع الاغتراب التي عاناها الشعراء قديماً وحديثاً، وهو يعني باختصار " شعور الفرد

الأخر، فافقد طبقت مفاهيم المجتمع القاسية عليه وعلى أسرته، فقد تقاسم أعمامه مال أبيه وواجهوه بمعاملة فظة على الرغم من حداثة سنه، الأمر الذي دفعه إلى التمرد والثورة على قيم هذا المجتمع الظالم، وعاش عنثرة تجربة الاغتراب العنصري المريرة، فقد تنكرت له قبيلته بما في ذلك أبوه وعمه وأذاقوه صنوف العذاب والاهانة بسبب سواد لونه وعبوديته، مما ملأ نفسه إحساساً بالهوان والضياع.

كما جسدت حياة الصعاليك خير مثال على الاغتراب الاجتماعي والنفسي، فهم برفضهم لجانب من قيم المجتمع، وتمردهم عليه ومحاولتهم البحث عن نظام اجتماعي بديل يحفظ حقوقهم، إنما يعبرون تعبيراً صادقاً عن ذلك الاغتراب، فتجربتهم تتضمن الخروج والثورة على قبائلهم، فاتخذوا من القوة وسيلة لتحقيق أهدافهم.

ولقد قاسى الشاعر الجاهلي المتملس الضبعي - موضوع البحث - آلام الغربة والاغتراب، حيث أرغم على ترك أهله ودياره، إلى أرض الشام هرباً من بطش عمرو بن هند ملك الحيرة، بعد هجاء المتملس له، فلما بلغ عمرو بن هند فراره إلى الشام نذر دمه، وحرّم عليه دخول العراق، مما ألهب ذلك في قلبه نيران الحنان والشوق إلى العراق وأهله، وقد استقر به المقام في مدينة بصرى من أعمال دمشق، حتى مات فيها غريباً^(٧).

لقد اسهمت هذه العوامل وغيرها في تكوين الاغتراب الاجتماعي ، فكل ما يحيط بالانسان من بيئة مادية او معنوية يمكنها أن تكون سبباً في إظهار هذا النوع من الاغتراب اذ تأخذ حلقات التواصل الاجتماعي بالتفكك وتظهر بوادر الاستنكار والرفض فيحصل عند ذلك التجافي، وتظهر بوادر الخلاف وجدية الانتماء بين الذات والجماعة التي ينتسب إليها، فتؤدي إلى حالة من الإحباط والتشاؤم من الواقع الاجتماعي المتردي ، ولعلَّ هذا الأمر قد وُلد شعوراً عميقاً بالشكوى والاغتراب من ذلك الواقع المبني في أساسه على نوع من العقد الاجتماعي الذي تتحقق في ظلله فردية الذات المنبثقة من روح الجماعة، لتشكل آفاقاً جديدة مشوية بالضغينة والحقد لتبقى المجافة الاغترابية تتحكم بالعلاقات الاجتماعية بين الاطوار الاجتماعي الذي ينتمي إليه الفرد^(١١).

وقد ذكرت المصادر الأدبية بأنَّ الحارث بن التوأم اليشكري خال المثلّس، عيّره بنسبه وانتقص قدره عند الملك عمرو بن هند، فلما بلغ ذلك الموقف المثلّس فارق احواله ليلحق بقومه بني ضبيعة بن ربيعة وقد روى الشاعر تلك الحادثة في قصيدته الميمية التي عكست حقيقة هذا التوتر الاجتماعي والتي يفخر بأمه وقومه ، إذ يقول^(١٢):

بالانفصال عن جانب أو أكثر من جوانب المجتمع، كالشعور بالانفصال عن الآخرين، أو عن القيم والأعراف والعادات السائدة في المجتمع، أو عن السلطة السياسية الحاكمة، وما يصحب ذلك من إحساس بالألم والحسرة، أو التشاؤم، واليأس وما يرافقه أحياناً من سخط أو تمرد أو نغمة أو ثورة^(٨). ومن هنا يتضح أن الاغتراب الاجتماعي يرتبط بمفهوم الرفض، فالفرد يحسُّ نفسه غريباً عن محيطه ومجموعته الاجتماعية التي يعيش ضمنها، فإن لم يستطع التأقلم والانسجام مع محيطه الخارجي، فإنه سيُشعر بالغرابة والاغتراب، ويجعله ذلك غريباً وبعيداً عن نواحي واقعه الاجتماعي^(٩).

فضلاً عن إنَّ مغادرة الوطن وما يعتري ذلك من مشاعر الخوف والقلق تقود إلى اغتراب اجتماعي؛ ذلك لأنَّ الإنسان حين يغادر وطنه، فإنه يغادر ذلك الوطن بمكوناته الاجتماعية، والثقافية والديني، ويشعر بالأسى تجاه المكونات الاجتماعية، أفنقدها في وطنه ذلك، الامر الذي يفوده نحو الإحساس بالغرابة والاغتراب الاجتماعي اذ تعد بلاد الغربة مكاناً مجهولاً للوافد عليه ، ويتوقع منه المكاره لجهله به وبطباع اهله^(١٠).

(الطويل)

يُعِيرُنِي أُمِّي رَجَالًا، وَلَا أَرَى
وَمَنْ كَانَ ذَا عَرِضٍ كَرِيمٍ فَلَمْ يَصُنْ
أَحَارِثُ، إِنَّا لَوْ تَشَاطُطُ دِمَاؤُنَا
أَمْتَقَلًا مِنْ آلِ بُهْتَةَ خَلَّتُنِي
أَلَا إِنِّي مِنْهُمْ وَعَرِضِي عَرِضُهُمْ
وَإِنَّ نَصَابِي إِنْ سَأَلْتَ وَأَسْرَتِي
وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ
لِذِي الْجَلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُفْرَعُ الْعَصَا
وَلَوْ غَيْرُ أَخْوَالِي أَرَادُوا نَقِيسَتِي
وَهَلْ لِي أُمَّ غَيْرُهَا إِنْ تَرَكْتَهَا؟

أَخَا كَرِيمٍ إِلَّا بَأْنَ يَتَكْرَمَا
لَهُ حَسَبًا كَانَ اللَّيْمُ الْمَذْمَمَا
تَرَيَلَنَ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمَ دِمَا
أَلَا إِنَّنِي مِنْهُمْ وَإِنْ كُنْتُ أَيْتَمَا
كَذِي الْأَنْفِ يَحْمِي أَنْفَهُ أَنْ يَكْشَمَا
مِنَ النَّاسِ حَيِّ يَفْتَنُونَ الْمُزْتَمَا
أَقَمْنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَمَا
وَمَا عَلَّمَ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْلَمَا
جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينَ مَيْسَمَا
أَبَى اللَّهِ إِلَّا أَنْ أَكُونَ لَهَا ابْنَا

ومن هنا يظهر لنا جانب الاغتراب الاجتماعي لدى المتلمس الضبيعي، حينما حاول أن يخلق نوعاً من التوازن بين موقف أخواله السلبي أمام ملك الحيرة، وبين ما يكتنه لهم من مشاعر الود والوفاء، وفي ظل هذه الثنائية يحصل الاغتراب على مستوى الذات المحكومة بطبيعة التغيرات الاجتماعية تلك. ولعلَّ أشد درجات الاغتراب الاجتماعي إيلاماً للنفس المغترية ذلك الشعور بالضياح، والتردد بين الولاء للأخوال أو الأعمام، فيقول:^(١٣)

في هذا النص المشحون بعواطف الاعتزاز والإباء، إلى جانب اللوم والتقريع المبطنين من الشاعر لخاله - الحارث بن توأم اليشكري - الذي حاول أن يقلل من شأنه ويطعن في نسبه، وينظر إليه نظرة دونية ازدرائية، مستكراً موقفه هذا، عبر صوته الشعري بالدفاع عن وجوده ونسبه وعرضه، ليثبت لخاله شرف أرومته من خلال انتمائه إلى (آل بهتة)، وعلى الرغم من تلك الإساءة إلا أن الشاعر لا يزال ينزل خاله منزل القريب؛ ليؤكد شرعية صلته بأمه التي لا تنفصم ولا تنتقص.

(الطويل)

تَفَرَّقَ أَهْلِي مِنْ مُقِيمٍ وَظَاعِنٍ فَلَّهِ دَرِي أَيِّ أَهْلِي أَتَبَعُ؟
أَقَامَ الَّذِينَ لَا أَبَالِي فِرَاقَهُمْ وَشَطَّ الَّذِينَ بَيْنَهُمْ أَتَوَقَّعُ
عَلَى كُلِّهِمْ آسَى، وَلِلأَصْلِ زُفَّةٌ فَرَحَزِحَ عَنِ الأَدْنَيْنِ أَنْ يَتَّصِدَّعَا

أَلخني إلى قومي ضبيعة إنهم فأناسي، فلوُموا بعد ذلك أو دَعُوا
وقد كان أخوالي كـريماً جوارهم ولكن أصل العود من حيث يُزَعُ

الشاعر تجربته الذاتي ليخلق زحماً نفسياً مليء بالحزن والاسى لتتجسد ظاهر الاغتراب من خلالها في سياقته النصية .

ثانياً: الاغتراب النفسي

في حالة الاغتراب النفسي، يشعر الفرد بانفصاله من ظرف إنساني مثالي، فيتطلع إلى الانعتاق من العالم المحيط به إلى عالم من وضع نفسه، إذ يتمثل ذلك في عدم التكيف أو التجاوب مع المجتمع أو البيئة التي يعيش فيها الإنسان نتيجة لأمر طارئة أو هجمة تقاليد وعادات غريبة تحدث هزة بين الشعور والوجدان^(١٤)، وهذا يعني انعزال الفرد عن قيمه وعاداته ومعتقداته، مما يفضي بالفرد إلى فقدان الإحساس بالذات، الأمر الذي يدفعه نحو الشعور بالاضطراب والعجز، وهو ما ينتهي به إلى الاغتراب.

إنّ الاغتراب النفسي هو الحويلة النهائية للانتقال الصراع بين الذات والموضوع الآخر

يتضمن هذا النص إحساساً واضحاً بالاغتراب الاجتماعي، إذ يقف الشاعر في حيرة من أمره، أمام واقعه الاجتماعي المؤلم، فقد وجد نفسه بين أخواله - بنو يشكر - وليس بين أعمامه (قبيلة ضبيعة)، الأمر الذي يشنت الذات الشاعرة ويجعلها تعيش حالة من الدهشة والحيرة (فله أدري أي أهلي أتبع)، والتي تكمن في رؤية الشاعر لمشهد الفقد والفرق والتصدع للأهل والعشيرة ، ويرتبط حزن الشاعر على تلك اللحظات المأساوية بفكرة البحث عن الهوية، فالقبيلة (ضبيعة) تمثل هوية الشاعر، وإليها ينتسب، فهم أعمامه وأهله وإليهم ينتمي، فالأخوال وإن كانوا جيراناً كرماء، لكنه يبقى غريباً حتى يستقر به المقام بين أبناء قبيلته وعلى أرضها، وهكذا اختار الشاعر بعد تردد في الولاء بين العمومة والخوولة الرجوع إلى الأصل (العمومة)، وتأكيد هويته من خلال الانتماء إلى القبيلة (ضبيعة). لقد وظف

قدرته على التواصل مع الآخرين وهو مايفضي به من الاغتراب .
ومن مظاهر الاغتراب النفسي عند الشاعر الجاهلي ما يقاسيه من مشاعر جياشة جراء فراق المحبوبة وأهلها، ورحيلها إلى مكان مجهول، فيحسُّ بصعوبة ذلك الموقف على نفسه، ويشعر أنه في وحشة ووحدة، ومنه قول المتملس الضبعي الذي يصور فيه لحظات الوداع لمحبوته وقومها وهم يحثون الخطى نحو الرحيل^(١٦):

وَأَسْمَحَ لِلْقَرِينَةِ بِانْقِيَادِ
وَحَثَّ بِهِمْ لَدَى الْمَوْمَاةِ حَادِ

وتبكيها، وصعوبة اللقاء بها مجدداً، فأدى هذا الفراق إلى إحساسه العميق بالاغتراب النفسي.
وتبدو ملامح الاغتراب النفسي واضحة لدى المتملس الضبعي، وهو يحدث ابنه عما يحلُّ به، بعد موته من ألوان الذل والهوان، بعدما فارق أخواله ولحق بقومه بني ضبيعة، فيقول^(١٧):

من الحياة الخارجية إلى الحياة الداخلية. فالاغتراب النفسي لا يفصل عن أي نوع آخر من أنواع الاغتراب؛ لأنَّ شخصية الإنسان وحدة متكاملة في جوانبها البيولوجية والنفسية والاجتماعية^(١٥)، فقد يحدث الاغتراب النفسي نتيجاً للتناقض الكبير والحاد بين الذات الواقعية التي يعيشها الانسان والذات المثالية التي يسعى الى تحقيقها ، فيشعر الفرد بالانفصال وعدم

(الوافر)

صَبَا مِنْ بَعْدِ سَلْوَتِهِ فُوَادِي
كَأَنِّي شَارِبٌ يَوْمَ اسْتَبَدُّوا

يظهر الشاعر في هذا النص عظيم الأسى والحزن لفقد الأحبة الطاعنين إلى أراضٍ بعيدة، فقد أدى ذلك الفقد والفراق إلى شعوره بالاغتراب النفسي، فصار تائهاً غريباً، يلوذ بالخمرة للتسلية عنه، حينما شاهد القوم وقد أمضوا برأيهم، يحث بهم الحادي إلى تلك الفلاة المقفرة، فلحظة الوداع تحمل في داخلها ألم الغربة، وتؤكد على بُعد المكان الذي حلت به الحبيبة، وتذكر الأيام الماضية

(الطويل)

لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ يَسْرُكَ أَنِّي
فَتَصْبِحُ مَظْلُومًا تُسَامُ دَنِيَّةً
وَيَهْجُرُكَ الْإِخْوَانُ بَعْدِي وَتُبْتَلَى
وَلَوْ كُنْتُ حَيًّا قَبْلَ ذَلِكَ لَمْ تُرْمَ

شَهَدْتُ، وَقَدْ رَمَتْ عِظَامِي فِي قَبْرِي
حَرِيصًا عَلَى مِثْلِي فَقِيرًا إِلَى نَضْرِي
وَيَنْصُرُنِي مِنْكَ الْمَلِيكُ فَلَا تَدْرِي
لَهُ خُطَّةٌ حَسَنًا، وَشُورَتَ فِي الْأَمْرِ

الذي يورقهم بالهموم والآلام، ففي وقت الليل يكون توحد الإنسان وانعزاله، وقلة الأناس وضعف الانشغال كفيلة بتوارد الهموم وتكالباها على الإنسان فيضيق صدره حتى يضييق بالزمن، ولا شك في أن اختيار الليل كزمن يعكس واقعاً نفسياً مغترباً يكون وقعه أسوأ على النفس؛ لأنَّ سوداوية الليل تعكس سوداوية النفس المثقلة بالهموم يعلنها المغترب في ليله ونهاره، كما يتضح ذلك في سينية المتلمس الضبيعي^(١٨): فيقول

يُظْهِرُ هَذَا النَّصُّ مَا يَمُرُّ بِهِ الشَّاعِرُ مِنَ الْقَنُوطِ النَّفْسِيِّ وَالْإِحْبَاطِ، فَقَدْ جَعَلَ مِنْ مَوْتِهِ سَبِيلًا لِإِنْكَاءِ مَشَاعِرِ الْأَلَمِ وَالْحُزَنِ وَالْيَأْسِ فِي نَفْسِهِ، فَقَدْ وُلِدَ الْفِرَاقُ حَرَقًا وَأَلَمًا، وَطَغْيَانًا لِمَشَاعِرِ الْحُزَنِ وَالْأَسْفِ عَلَى بَاقِي الْمَشَاعِرِ فَهُوَ اجْسُ الْغُرْبَةِ وَفَقْدَانِ الْأَمَلِ شَدِيدًا لَدَيْهِ ، الْأَمْرُ الَّذِي يَرِيسُمُ صُورَةَ وَاضِحَةً عَنِ الشُّعُورِ الْإِغْتِرَابِ النَّفْسِيِّ الَّذِي يَعِيشُهُ الشَّاعِرُ بَعِيدًا عَنِ كُنُفِ أَوْحَالِهِ.

واختار كثير من الشعراء المغتربين الليل زماناً نفسياً يعبرون من خلاله عن واقعهم المأزوم

(البسيط)

حَنَّتْ قُلُوبِي بِهَا، وَاللَّيْلُ مُطْرَقٌ
مَغْقُولَةٌ يَنْظُرُ التَّشْرِيقَ رَاكِبًا
وَقَدْ أَلَاخَ سُهَيْلٌ بَعْدَمَا هَجَعُوا
حَنَّتْ إِلَى نَخْلَةِ الْفُصُؤَى فَقُلْتُ لَهَا:

بَعْدَ الْهُدُوءِ وَشَاقَتَهَا النُّوَاقِيسُ
كَأَنَّهَا مِنْ هَوَى لِلرَّمْلِ مَسْلُوسُ
كَأَنَّهُ ضَرَمَ بِالْكَفِّ مَقْبُوسُ
بَسَلْتُ بِكَ الْأَا تَلْكَ الدَّهَارِيسُ

وصنع القرار، وتصبح السلطة ممثلة لمصالح طبقة بعينها، وفي ذلك تعلن أن تحقيق مصالحها هو تحقيق مصالح المجتمع بأسره^(١٩)، وبذلك تصدر حق المجتمع السياسي، وقد يؤدي ذلك إلى ثورة وتمرد ونقمة وسخط .

فالفرد أصبح يشعر بالعجز عن المشاركة السياسية الحقيقية وبالعزلة وبالضياع والقهر الناجم عن استمرارية الاستبداد السياسي في ظل غياب المساواة والعدالة الاجتماعية ، الامر الذي يؤدي الى فقدان الامل والقنوط والياس في اعماق نفسه ، فرائه لا يسمعه أحد، وإن سمعه لا يهتم به ولا يأخذ به، فهو يعيش على الهامش، والدولة لا تسعى إلى إسعاده، ولا تُعنى بحاجاته.

وفي المجتمع العربي قبل الإسلام تطور الاغتراب عبر الخروج عن القبيلة، والتمرد على العادات والتقاليد، فكان الخروج لانعدام المساواة والعدل، وزيادة الإحساس بالظلم وسوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، فهناك من الأفراد من طردتهم قبائلهم لإلحاق الأذى بجيرانهم، وارتكاب السطو والإغارة والسلب، مما حمل قبائلهم الديات، وساء جوار قبائلهم مع غيرها من القبائل الأخرى، وقد القت الظروف السياسية السائدة في العصر الجاهلي بظلالها على المجتمع العربي انذاك فكان لها الدور الاساسي في اثاره الحس الجاهلي العام ، واحالته الى حالة

يتجلى في هذا النص هاجس الاغتراب النفسي لدى الشاعر، وقد أشرك معه ناقته التي أضناها الحنين والشوق إلى العراق وأهله عند اشتداد سواد الليل، الذي تهجم فيه هموم الأحزان على الإنسان بعد الهجوع والسكينة، ومما يهيج شوق تلك الناقاة النواقيس التي سمعتها فتذكرها بالعراق ليجد الشاعر في ذلك ما يواسي به نفسه المهمومة ويخفف من آلامه ووحشته ، فقد القى الشاعر مافي داخله على الناقاة ليعبر من خلالها عن شعور حقيقي تمتزج به مشاعر الحنين والخوف وهو يلومها على اندفاعها وراء هذا الشوق والحنين لان فيه هلاكها ، وقد دلّ الفعل (شاق) في التعبير عن شكواه، وهي في الوقت ذاته دعوة إلى المتلقي لمشاركته أحزانه، ولواعج نفسه. فالليل هو زمن استحضر الهموم وتكالبها على صاحبها، فهو وقت هدوء الناس، وهكذا ظهر لنا الشاعر المتملس الضبعي في اغترابه النفسي، وهو يقاسي الأم البُعد والفرق مضطراً عن الديار وأهله.

ثالثاً: الاغتراب السياسي

يتعلق الاغتراب السياسي بالانفصام الحاصل بين الفرد والسلطة التي تمثله في مجتمع ما، ففي حالة الاغتراب السياسي يشعر الفرد بعدم الرضا والرفض للأوضاع السياسية ونوع العلاقات القائمة بين المواطن والدولة، إذ يحول بينه والمشاركة في الحياة السياسية

المتلمس وانتهاء حياته بعد أن هجاه الاخير، من خلال صحيفة المتلمس الشهيرة، إلا أنه نجا من تلك المحاولة، وأفلت هارباً إلى الشام، وهناك اتصل بملوكها الغسانيين أعداء المناذرة، وبلغ عمرو بن هند ذلك فيحلف أن لا يطأ المتلمس أرض العراق، ليعيش شاعرنا ما بقي من عمره غريباً منفياً عن أهله ووطنه، يعاني أوجاع الغربة والاغتراب، داعياً من هناك القبائل العربية لاسيما بكر بن وائل للثورة على هذا الملك الطاغية، يقول^(٢٠):

طالَ الثَّوَاءُ وثوبَ العَجْرِ مُلبُوسٌ
واستحمقوا في مِراسِ الحَرْبِ أو كِيسُوا
لَمَّا رَأَوْا أَنَّهُ دِينٌ خَلَابِيسُ
والظُّلْمُ يُنْكَرُهُ القَوْمُ المَكَايِيسُ

يعيشه الشاعر، تخالط دعوته تلك مرارة الحزن وشهوة الانتقام المشحون بالتوتر الذي يوِّلد آثاراً نفسية تعمق الشعور بالاغتراب على المستوى السياسي.

وفي نص آخر تتضح فيه هواجس الاغتراب السياسي من خلال العلاقة المتوترة بين المتلمس وعمرو بن هند، إذ يخاطب فيه غريمه عمرو بن هند بعد ان اقسام الشاعر

من الصراع النفسي الحاد بين التعامل مع الاحداث السياسية الجارية ، كونه فرداً ضمن المنظومة القبلية التي ينتمي اليها ، وبين الرغبة الجنوح نحو الامن والاستقرار ، مما ينتج من هذين الواقعين شعور ذاتي بالاغتراب ، وما يتبع ذلك من آلام نفسية متجددة، تتجسد آهاتها بالشكوى والضجر والشعور بالقلق، والخوف من المجهول^(٢٠).

ولقد قاسى شاعرنا المتلمس الضبعي من الاغتراب السياسي بسبب العلاقة المتأزم مع السلطة متمثلة بشخص عمرو بن هند ملك الحيرة. فقد حاول الأخير التخلص من

(البسيط)

يا آل بكرٍ، أَلَا لِلَّهِ أُمُكُمُ
أَعْنَيْتُ شَأْنِي، فَأَعْنُوا اليَوْمَ شَأْنَكُمُ
إِنَّ عِلَافاً وَمَنْ بِاللُّؤْدِ مِنْ حَضَنِ
شَدُّوا الجِمالَ بأكوارٍ على عَجَلِ

في هذا النص يحرض الشاعر قبيلة بكر بن وائل على الثورة وإظهار البطولة، وعدم قبول الظلم، ويضرب مثلاً في (علافاً) وقومه حين أبو الضيم، وناقحوا حتى استطاعوا أن يردوه عن قبيلتهم، وهو ما يدل على الخصومة السياسية، والتي تبرز ألوان الرفض المشوبة بالحس المغترب، لتعبّر عن رغبة جامحة بتغيير هذا الواقع المرير الذي

باللات والاوثنان على هجائه والنيل منه ،

فيقول^(٢٢):

(الكامل)

أطردتني	حذرَ	الهجاءَ،	ولا	واللآتِ	والأنصابِ	لا	تتلُ
ورَهنتني	هنداً	وعرضكَ	في	صُحفِ	تلوحُ	كأنها	خِلُ
شرُّ	الملوكِ	وشرُّها	حسباً	في	الناسِ	منَ علموا	ومن جَهلوا
الغدرُ	والآفاتُ	شيمتهُ		فافهمُ،	فُرقوبُ	لَهُ	مِثْلُ
بئسَ	الفعولهُ	حينَ	جدَّ	عركَ	الرَّهانِ،	وبئسَ	ما بَخِلوا

تظهر في هذا النص بشكل جلي حالة القلق والتوتر والرغبة التي بات يعيشها المتلمس بعد طرد ملك الحيرة عمرو بن هند له، ذلك أن قرار الطرد والابعاد يمثل عملية إقصاء ونفي واغتراب للذات الإنسانية، وانسلاخاً لها عن وجودها ومكانها، فقد اضطر الشاعر في تلك الظروف العصبية الى ايثار منفي عن الإقامة في دياره واهله ، ونتيجة لهذا الشعور الاغترابي نجد أن الشاعر المتلمس يثور على هذا الفعل المجحف الذي تمارسه السلطة بحقه ، فقد اتخذ من هجاء السلطة والنيل من شرفها. ووصفها بأبشع الصفات مثل الغدر الخديعة وإخلاف العهود وضرب عرقوب مثلاً كي يجسد تلك الصفات الذميمة التي كانت في عرقوب ، في السلطة الغاشمة ممثلة في شخصية عمر بن هند وجعلها وسيلة للانتقام منها، فهي سبب آلامه وأحزانه وغربته واغترابه.

رابعاً: الاغتراب الوجودي.

من القضايا التي تؤثر في نفس الإنسان على نحو عام، ولدى الشاعر على نحو خاص ما يتعلق منها بالنواحي الوجودية، فقد عبّر الشاعر عن مخاوفه ومواقفه من قضايا مصيرية لا يستطيع تفسيرها، مثل ثنائية الحياة والموت، والوجود والعدم، ووقوع الإنسان في قبضة الزمن الصارمة ومقدار نصيبه من السعادة والشقاء، والمصاعب التي توضع في طريقه منذ الساعات الأولى لولادته وحتى مماته، كما تساعل الشعراء في ألم وحيره عن قصة الإنسان بدايتها ونهايتها وهدفها ومغزاها، وقد شغلت هذه الأسئلة وغيرها عقول الفلاسفة والمفكرين منذ القدم في مختلف الحضارات، وكانت الشغل الشاغل لعدد كبير منهم في العصر الحديث^(٢٣).

إنّ تجليات الاغتراب الوجودي في الشعر الجاهلي تباينت في قضايا مختلفة كالخوف من الموت، والقلق من المصير بعده، والتساؤلات عن حقيقة الوجود والحياة، فضلاً عن الرغبة في التحرر وإبراز الذات وتضخيم الأنا، والإغراق في الملذات والشهوات، كل ذلك قد أثار لدى الشاعر الجاهلي هواجس الاغتراب والقلق الوجودي.

ففي نص للمتلمس الضبّعي يبرز فيه الاغتراب الوجودي القائم على الصراع بين الحياة والموت في نفس الشاعر، فالشاعر فيه قلقاً يتهدهد في الوجود مؤمناً بحتمية الموت والفناء، إذ يقول^(٢٥):

رَبُّبُ الْمُنُونِ، فَأَضْحَى بِيضَةَ الْبَلَدِ
أَحْيَاءُ بَعْدَهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْكَمَدِ
قَبْرٌ بِسِنْجَارٍ أَوْ قَبْرٌ عَلَى قَهْدٍ

بيضة البلد قام عنها الظليم وتركها ،
فالشاعر ينظر الى الموت على إنه مجهول
لا يعرف كنهه أحد، الأمر الذي دفع
بالشاعر أن يخلق الحكمة التي يراها سيلاً
للحقيقة، وهي أنه لا يمكن بحالٍ أن يشنكي
الأحياء إلى الأموات، مما حلّ بهم من أحزان
ومصائب، ومع ذلك فقد اشتكى إلى من

إنّ هذه الرؤية المشبعة بالاضطراب والخوف زرعت في نفس الشاعر الجاهلي القلق واليأس، وكان ينتابه شعور بحتمية الفناء والموت، الأمر الذي دفع به إلى اقتناص اللذات الحسية وكأنها فرص يخشى أن تفوته قبل أن يغتتمها، ويرى أن يحقق من خلالها ذاته في مجتمعه. فشخصية الشاعر الجاهلي تكره الرتابة والجمود وتسعى إلى الحرية والثورة والتمرد عن كل من يفرض عليه حتى ولو كان هذا المفروض هو الموت نفسه، وتحاول الخلاص من مظاهر الاستعباد، فهو السبيل لإظهار ملامح الوجود لدى الشاعر، ومكون أساس من مكونات الاغتراب لديه^(٢٤).

(البسيط)

لَكِنَّهُ حَوْضٌ مِنْ أَدْوَى بِإِخْوَتِهِ
لَوْ كَانَ يُشْكِي إِلَى الْأَمْوَاتِ مَا لَقِيَ الْـ
ثُمَّ اشْتَكَيْتُ لِأَشْكَانِي، وَسَاكِنُهُ

يمثل هذا النص أنموذجاً للصراع الدائر في خلجات النفس لدى الشاعر؛ نتيجة ما يجري من اختلاف في عناصر الوجود التي تحيط به، باثاً فيه مشاعر الخوف والرغبة من الموت وتشاؤمه من الحياة ، تلك الحقيقة التي اقلقت الشاعر ، واقضت مضجعه وذهنه ، فامسى منفرداً لا ناصر له بمنزله

كما يتضح الاغتراب الوجودي ايضاً في رائية المتلمس التي يرثي فيها نفسه، صارخاً من أعماقه من وقع مصيبة الموت التي ستحول بين لذّاته ولهوه، يقول^(٢٦):

قبره بسنجار أو بقهد، فلم يتقبلا ظلامتي وشكواي، الأمر الذي يكشف عن إحساس الشاعر بالمفارقة والحيرة والاضطراب في مواجهة هذا الفناء المحيط به، فالموت والفناء أكثر العوامل اثاراً لمشاعر الفلق الاغتراب في أعماق النفس .

(الطويل)

مَنَايَاكُمَا فِيمَا يُرْخِزُهُ الدَّهْرُ
وَقَوْلًا: سَفَاكَ العَيْثُ والفَطْرُ يَا قَبْرُ
مَنْ الدَّهْرُ، والدُّنْيَا لَهَا وَرَقٌّ نَضْرُ
بِرُودٍ، حَتَمَهُ القَوْمَ رَجْرَجَةً بِكُرُ
حُمِيًّا، فِدَبَتْ فِي مَفَاصِلِهِ الخَمْرُ
بِأَسْرَارٍ مَوْلِي أَلِدَّتُهُ صَفْرُ

خَلِيْلِي إِمَّا مِتُّ يَوْمًا وَرُخِزْتِ
فَمُرًّا عَلَى قَبْرِي، ففُومًا فَسَلَّمَا
كَأَنَّ الذِّي عَيَّبَتْ لَمْ يَلُهُ سَاعَةٌ
وَلَمْ تَسْفِهِ مِنْهَا بَعْدُ مُمْتَعٍ
وَلَمْ يَصْطَبُحْ فِي يَوْمٍ حَرٍّ وَقِرَّةٍ
وَلَمْ يَرِعِ العَيْسَ الكَوَائِسَ بِالضُّحَى

وتأجيج نار الاغتراب الوجودي المتعلق بمسألة الحياة والموت التي أكتوت بها نفسه المثقلة بالهموم والاحزان .

الاغتراب المكاني:

يُعدُّ الاغتراب المكاني واحداً من أنماط الاغتراب التي يعيشها الشاعر؛ لأنَّ المكان في حياة الإنسان عموماً والشاعر على نحوٍ خاص ليس إطاراً مجرداً لوجود الإنسان فيه، بل إنه يغدو مشبعاً بالدلالات النفسية والاجتماعية والمعاني والرموز، ويكون شديد الصلة بأحاسيس الألفة والأمان أو التهديد والوحشة والعداء.

عبّر الشاعر في هذا النص عن مأساته وصراعه مع الموت الذي يحرص الشاعر على تغييبه من تفكيره عن طريق إتيان الملاهي ومعاقرة الخمرة، فقد أصبح رهين القبر، ولكنه - الموت - يبقى حقيقةً ماثلة أمام العيان يفزع منها كلما تذكرها، يتهدده في كل لحظة، تترص به الدوائر، وهو واقع لا محالة ولا سبيل الى انكاره والهروب منه ، فلم تبقى تلك القوة المدمرة كل وجوه اللذة واللهو، فلا المرأة ولا الخمرة، ولا رعي العيس الكوانس تنجي من الموت، فكان ذلك سبباً لتتغيب عيش الشاعر، وتتكيد حياته ،

وقد ينتقل الانسان من مكان الى اخر مضطراً بفعل عوامل متعددة ، ولكن سرعان ما يعصف به الحنين والشوق الى اهله ووطنه ، الامر الذي يذكي في نفسه مشاعر الحزن والاسى والالم يعبر به في ثنايا شعره (٢٩).

وقد شغل المكان حيزاً مهماً من تفكير شاعرنا المتملس الضبعي، إذ يندر أن تأتي قصيدة من دون أن تشتمل سرداً لمواضع بعينها تركت أثراً في نفسه إيجاباً أو سلباً، وأكثر هذه الأمكنة ذكراً هما العراق والشام، محملين ثقلاً عاطفياً وجدانياً فالعراق أرض الخوف، وأرض السلطة المستبدة، اما أرض الشام أرض الأمان، وأرض الضيافة والعتاء.

يحرص المتملس في كل مناسبة على ذكر العراق الذي تركه مرغماً ، وهرب الى ارض الشام طريداً خائفاً من عمر بن هند ويطشه على الرغم من علمه ما ينتظره هناك من مخاطر، ولكن وجع الفراق وآلام الغربة، يدفعانه إلى البوح عن حنينه وشوقه، يقول(٣٠):

يحتمُّ المكان حيزاً مهماً في حياة كل إنسان. ولذلك فإنَّ كل ملائمة للمكان إنما هي ملامسة لشبكة العلاقات التي تربط الأشخاص بالمجال المعيشي، ارتباط وجود وانتماء، وهوية. فالمسألة المكانية لا تقف عند حدود التأطير وحسب(٢٧)، وإنما تتعداها إلى مجالات إنسانية أوسع.

ولمَّا كان الشعر العربي شعراً مكانياً في ارتباطه بالبيئة التي أنتجته والإنسان الذي أبدعه، كان لزاماً على الدرس الأدبي أن يلتفت إلى المكان فيه، فالمكان عند الشاعر ليس ذلك المعطي الخارجي المحايد الذي نعبه من دون أن نأبه به، وإنما المكان (حياة) لا يحده الطول والعرض فقط، وإنما خاصية الاشتمال(٢٨).

يُعدُّ الشوق والحنين إلى الوطن وساكنيه من أسباب الاغتراب المكاني فقد ارتبطت الغربة المكانية بـ "بالمكان والمجتمع معاً ، لانها غربة مجتمع عن ارض يرتبطون بها او غربة شاعر عن ارضه ومجمعه، ولهذا فان الحنين الى الارض يتراكم مع الجنين الى الاهل واليبين عن مكان هو بين الوطن الذي يجمع بين دفتيه عناصر مكانية وبشرية "

(البسيط)

بَسَلْتُ عَلَيْكَ أَلَا تَلِكُ الدَّهَارِيْسُ
قَوْمًا نَوْدُهُمْ إِذْ قَوْمُنَا شَوْسُ
مَا عَاشَ عَمْرُقُ وَمَا عَمَّرَتْ قَابُوسُ

حَنَّتْ إِلَى نَخْلَةِ الْفُصْوَى فَقَلَّتْ لَهَا:
أُمِّي شَامِيَّةٌ، إِذْ لَا عِرَاقَ لَنَا
لَنْ تَسْلُكِي سُبُلَ الْبَيَّوَاةِ مُنْجِدَةً

وَالْحَبُّ يَأْكُلُهُ فِي الْقَرْيَةِ السُّوسُ
وَلَا دِمَشْقُ إِذَا دَيْسَ الْكَدَادِيْسُ

أَلَيْتَ حَبَّ الْعِرَاقِ الدَّهْرَ أَطْعَمَهُ
لَمْ تَدْرِ بُصْرَى بِمَا أَلَيْتَ مِنْ قَسَمِ

ناقته لعلها تُسلي همومه، وتحمل عنه بعض أعباء روحه المرهقة، الأمر الذي يعكس حياة الشاعر القلقة والمضطربة بسبب تهديدات السلطة له، فهو يعاني من تمزق نفسي بين عاطفة الحنين والشوق وبين صوت العقل البصير الذي يحسن تقدير الأمور .
وفي نص آخر يعبر الشاعر عن اغترابه المكاني، إذ مصرحاً فيه عن زهده بالعراق وأهله، فيقول^(٣١):

في هذا النص تتضح صورة الاغتراب المكاني الذي يقاسه الشاعر، وهو بعيد عن الوطن وأهله، بعد أن حُرِمَ منه واقعاً ظلاماً وعدواناً، إذ يحاول الشاعر في حوارية رائعة مع ناقته إقناعها بالعدول عن حنينها إلى العراق لأنَّ فيه هلاكها، وأن توطن نفسها على فراق العراق الذي صار غريباً عنها، ويأمرها بالاتجاه صوب الشام، ونسيان ذلك الطريق المفضي إلى العراق ما دام فيه عمرو بن هند وأخيه قابوس، فالتفانتة إلى (الكامل)

فَإِذَا نَأَى بِي وَدُهُمْ فَلْيَبْعُدْ
نَدْرُ السَّمَاءِ وَتَهْتَدِي بِالْفَرْقِدِ

إِنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ كَانُوا الْهَوَى
فَلتتركهم بليلى ناقتي

وَهَدِي قَوْمِ آخِرِينَ هُوَ الرَّدِي
وَالْعَدْرُ أَتْرُكُهُ ببلدة مُفْسِدِ
فَابْرُقْ بِأَرْضِكَ مَا بَدَا لَكَ وَأَرْعِدْ

لِبِلَادِ قَوْمٍ لَا يُرَامُ هَدْيُهُمْ
إِنَّ الْخِيَانَةَ وَالْمَغَالَةَ وَالْخَنَا
فَإِذَا حَلَلْتُ وَدُونَ بَيْتِي غَاوَةٌ

الذات عن المجتمع، وعن الأفراد الآخرين،
وليصبح مفهوماً شاملاً يتناول جوانب الحياة
الانسانية المختلفة .

- أسهمت الظروف السياسية
والاجتماعية والنفسية التي عاشها المتلمس
الضبّعي في تكوين ظاهرة الاغتراب لديه،
فقد شكلت هذه الظروف رافداً مهماً في بروز
هذه الظاهرة في أشعاره بشكل واضح وجلي،
فجاءت اشعاره صورة صادقة جسدت حالة
الاقترب التي يعيشها الشاعر بجميع انواعها .

- جاء الاغتراب الاجتماعي، نتيجة
لرفض الشاعر لكثير من القيم الاجتماعية
الذميمة التي تتقاطع مع رؤية الشاعر، مثل
جفوة الأقارب، وإنكار الجميل، والحقد،
والضغينة، واخلاف العهد، والظلم، والغدر،
والوشاية، وغيرها من انماط مرفوضة من
السلوك الاجتماعي .

- أما الاغتراب النفسي، فقد تولّد
نتيجةً لحنين الشاعر وشوقه إلى الوطن
وأهله، بعد ان اضطررا الى ترك العراق
ولجؤئه إلى الشام خوفاً من بطش ملك الحيرة
عمرو بن هند الذي توّعه بالقتل ، وقد اتخذ
من الناقاة رمزاً و معادلاً موضوعياً للتعبير
عن حنينه وشوقه ، مجسداً الواقع النفسي
الذي يعيشه المغترب بعيداً عن وطنه واهله
، مكتوباً بنار الغربة .

في هذا النص الاغترابي ، يتضح فيه غربة
الشاعر المكانية بشكل جلي، بعد ان قرر
مغادرة العراق، بعد أن كان موطن العشق
وحشاشة الروح، و أضحى موطن الخيانة
والغدر، فأهل العراق الذين شطّ للشاعر
ودّهم وبادلوه المحبة نكراناً، وجفوةً قاصداً
بدلاً عنهم قوماً آخرين يحفظون عهده،
يجاور فيهم، فلا يضام عندهم، ولا يتكروون
له كما تنكر أهل العراق، مستعيناً بناقته
سبيلاً لتحقيق ذلك. فهي تحث الخطى ليلاً
تقطع الفيافي، قاصدة طريق الشام، فهو
سبيل الخلاص ونهاية الأحزان. لقد اتخذ
الشاعر في النصين السابقين من الناقاة رمزاً
معادلاً موضوعياً لمعاناته وحنينه وشوقه
إلى الديار وأهله. إنَّ ما جرى للشاعر من
فراق الديار وأهله أدى إلى إحساسه العميق
بالاغتراب النفسي والروحي ، هذا الإحساس
استطاع الشاعر أن يترجمه بهذه الأبيات
الشعرية التي وصف فيها حالته النفسية،
نتيجة لما وقع عليه من وجع الفراق، وجهل
المصير وإحساس الخوف والتوتر .

الخاتمة:

أما أبرز النتائج التي خلص إليها البحث،
فهي:
- لم يقف مفهوم الاغتراب عند حدود
النزوح عن الوطن والبعد عنه ، وإنما تطوّر
إلى أبعد من ذلك، ليدلّل عن انفصال

وغيرها تفسيراً موضوعياً يمكن أن يطمئن إليه ويكفل له الاحساس بالأمن .
- أما الاغتراب المكاني ، فقد أثار المكان البديل هواجس الخوف والقلق الشاعر، وأحدث في كيانه فجوة نفسية، وإحساس عميق بالأسى والحسرة عبّرت عن الواقع غير المنسجم مع الذات، تمثلت بما يلقي المغترب من نفي وتشرذم وتهديد واضطراب نفسي وغير ذلك من الأمور التي يلقاها في بلاد الغربة.

- عكست البيئة السياسية التي عاشها الشاعر واقعاً سياسياً مغترباً، مشحوناً بالتوتر، بسبب الصراع القائم مع السلطة الغاشمة متمثلة بملك الحيرة عمرو بن هند الذي توعد الشاعر بالقتل، فاضطر الى مغادرة الوطن وترك الاهل تحاشياً من بطش الملك وفتكه.
- كما عانى الشاعر القلق و الاغتراب الوجودي، بسبب عجزه وحيرته عن تفسير كثير من الظواهر الوجودية مثل ثنائية الحياة والموت والخلود والمغزى من وجوده

الهوامش:

- (٩) يُنظر: المصدر نفسه: ١٥١.
- (١٠) يُنظر: المصدر نفسه: ١٢٣-١٢٤.
- (١١) يُنظر: إسكندر، نبيل رمزي (٢٠٠٨) م. الاغتراب وازمة الإنسان المعاصر. : ٣٢-٣٣.
- (١٢) ديوان المتلمس الضبعي: ١٣٨-١٤٢.
- الحسب: الفعال الحسن له ولآبائه،
العرض: موضع المدح والذم من الرجل،
الحارث: هو ابن قتادة بن التوعم، تشاط:
تخلط وتمزج، تزيلن: تباين وتفرقن، بهثة:
بهثة بن ضبيعة بن ربيعة، جد الشاعر،
الكشم: قطع الأنف، الزنمة: علامة لكرامة
الإبل، العرانين، مفردها العرنين، وهو أول
الأنف، النقيصة: التتقص، ميسم: علامة، أو
الآلة التي يوسم بها.
- (١٣) الديوان: ١١٩-١٢١.
- ظاعن: مرتحل، لله درك: لله عملك أو
عطاؤك، شطّ: بَعَدَ، بينهم: بَعَدَهُم، أسي:
أحزن، الزلفة: القرب، زحزح: اجتهد،
يتصدعوا: يتباعدوا ويتفرقوا، الكني: أرسلني،
أناسي: قومي.
- (١٤) يُنظر: محمود رجب، الاغتراب سيرة
ومصطلح: ٣٥.
- (١٥) يُنظر: عبد اللطيف خليفة، دراسات
في سيكولوجية الاغتراب: ٨٠، و اسكندر ،
- (١) ابن منظور (٢٠٠٨) م. لسان العرب.
(ط٢). بيروت. دار الكتب العلمية. (عَرَبَ).
(٢) المصدر نفسه، مادة (عَرَبَ).
(٣) سلامي، سميرة (٢٠٠٠) م، الاغتراب
في الشعر العباسي - القرن الرابع الهجري.
ص ١٩.
- (٤) يُنظر: خليفه ، عبداللطيف (د.ت)
دراسات في سيكولوجية الاغتراب من ١٤١
- ١٤٤
- ينظر : شديفات، د. فتحي إرشيد
(٢٠٠٩) م، ظاهرة الاغتراب في شعر
الصعاليك واللصوص حتى نهاية العصر
العباسي ص ٢٢-٢٣.
- (٥) يُنظر: جعفر، محمد راضي (١٩٩٩) م.
الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر.
ص ١.
- (٦) يُنظر: خليف، مي يوسف (د.ت).
ظاهر الاغتراب عند شعراء المعلقات .
ص ١٥-١٦. وينظر سلامي ، سميرة : ٦٩
- (٧) يُنظر: الضبعي، ديوان المتلمس
(١٩٩٨) م. رواية الاشرم وابي عبيدة عن
الاصمعي. تحقيق وشرح: د. محمد التونجي.
ص ٤١-٤٤.
- (٨) سلامي، سميرة (٢٠٠٠) م، الاغتراب
في الشعر العباسي - القرن الرابع الهجري:
٨٠-٨١.

(٢١) الديوان: ٩٣-٩٤.
 ألا لله أمكم: يتعجب منهم، الثواء: الإقامة،
 آل بكر: هم بنو بكر بن وائل، أغنيت شأني:
 كفت أمري، استحمق: طلب الحمافة،
 كيسوا: فطنوا وتعقلوا، علاف: زيان ابن
 علوان من قضاة، الخلابيس: الغدر
 والأكاذيب، الكور: الرجل بأداته، المكابيس:
 الظرفاء الفنون.

(٢٢) الديوان: ١٢٨-١٢٩.
 اللات: اسم صنم لتقيف في الطائف،
 الأنصاب: كل من عبد من دون الله، رهن:
 أثبت، عرقوب: رجل جاهلي كان يضرب به
 المثل في إخلاف المواعيد.

(٢٣) يُنظر: حسن الخاقاني، رموز الاغتراب
 والغربة في شعر عبد الوهاب البياتي: ٤٤-
 ٤٥.

(٢٤) يُنظر: حسني عبد الجليل يوسف،
 الأدب الجاهلي: ٢٧٢-٢٧٤، وعبد الرزاق
 الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي: ٢٣٦-
 ٢٣٧.

(٢٥) الديوان: ٨٣.
 بيضة البلد: أي من بيضة النعام التي
 تركتها، وهي كناية عن الرجل الذي لا نصير
 له، أو لا مثيل له، أودى: هلك، ريب
 المنون: صروف الدهر، سنجار: جبل ضخ
 يقع في شمال شرقي سوريا والعراق، قهد:
 اسم موضع، أشكاني: قبل شكواي.

نبيل رمزي (١٩٨٨) م الاغتراب وازمة
 الانسان المعاصر: ٤٦
 (١٦) الديوان: ٨٠.

صبا: حسنٌ ومالٌ إلى جهالة الفتوة، أسمع:
 صار من أهل الجود والسماحة، القرينة:
 النفس، استبدوا: مضوا برأيهم، حث: أسرع،
 المومة: الفلاة لا ماء فيها، الحادي: سائق
 الإبل.

(١٧) الديوان: ٩١.
 رمّ العظم: بلي، تُسام: تُذل، الذنية: الذل
 والخسة، لم تُرم: لم تقصد، لم يهم بك،
 الخسف: النقص، الذل: الهوان.
 (١٨) الديوان: ٩٥-٩٦.

القلوص من الإبل: الفنية، الليل مُطرّق:
 مطروق، شاققتها: أثارت شوقها، معقولة:
 مربوطة، التشريق: أيام التشريق، وهي ثلاثة
 أيام بعد يوم النحر، سلسل عقله: ذهب،
 سهيل: نجم، ألأخ: لمع، نخلة القُصوى: وإد
 على طريق الشام، وقيل: موضع في العراق،
 بسل: حلال وحرام (ضد)، الدهاريس: مفرداها
 دهرس وهو الباطل والداهية.

(١٩) يُنظر: عبد اللطيف محمد خليفة،
 دراسات في سايكولوجية الاغتراب: ٩٧.

(٢٠) يُنظر: عبد الرزاق الخشروم، الغربة
 في الشعر الجاهلي: ٢٣-٢٦، ود. فتحي
 رشيد شديفات، ظاهرة الاغتراب في شعر
 الصعاليك: ٣٢-٣٥.

القتل خفية، الخنا: الفحش في الكلام، غاوة:
جبل، وقيل قرية بالشام، أبرق وأرعد: تهدد
وأوعد.

(٢٦) الديوان: ٨٦-٨٧.

برود: بارد، صفة حسنة للثغر، الرجرارحة:
المرأة البدينة التي يترجرج كفلها، بكر:
عذراء، القرة، البرد: الحُمَيّا: الخمرة أو
سورتها، العيس: الطباء البيضاء، الكوانس:
مفردها كانسة، وهي الغزالة تدخل كناسها،
المولي والوليّ: المطر يسقط بعد المطر.

(٢٧) حبيب مؤنسي، فلسفة المكان في
الشعر العربي: ٥.

(٢٨) يُنظر: وينظر المصدر نفسه: ١٦.

(٢٩) يوسف، حسني عبد الجليل (٢٠٠٣)
م، الادب الجاهلي ١٤٩. يُنظر: عبد
الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي:
٣٩-٤١.

(٣٠) الديوان: ٩٦-٩٨.

نخلة: وادٍ على طريق الشام، بسل: حرام
عليك، أمي: أقصدي، الأشوس: هو الذي
ينظر إليك نظر المبغض، البوابة: ثنية في
طريق نجد ينحدر منها صاحبها إلى العراق،
آلى: حلف، حَبّ: طعام، القرية: بصرى،
وهي مدينة بالشام من أعمال الغساسنة،
الكواديس: مفردها الكدس، وهو الحب
المحصود المجموع.

(٣١) الديوان: ٧٤-٧٦.

نأى: بعُد، السماكان: كوكبان نيران، تذر:
تترك، الفرقد: نجم يُهتدى به، الهدى (هنا):
الجار، الردي: الردي، المغالة: الغيلة، وهي

الهجري.(ط١). دمشق - سوريا: دار
النيابيع.

٩. شريفات، فتحي إرشيد(٢٠٠٩م). ظاهرة
الاغتراب في شعر الصعاليك واللصوص
حتى نهاية العصر العباسي الأول،
(ط١). عمّان - الأردن: الطريق للنشر
والتوزيع.

١٠. مؤنسي، حبيب (٢٠٠١) م، فلسفة المكان
في الشعر العربي. (ط١). دمشق -
سوريا: اتحاد العرب.

١١. المثلّمس، الضبعي (١٩٩٨) م، رواية الأثرم
وأبي عبيدة عن الأصمعي. شرح
وتحقيق: محمد التونجي. (ط١). بيروت
- لبنان: دار صادر.

١٢. يوسف، حسني عبد الجليل(٢٠٠٣)م. الأدب
الجاهلي. ط(٢). القاهرة - مصر:
مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.

مصادر البحث:

١. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم
(٢٠٠٨م). لسان العرب. تحقيق عامر
أحمد حيدر (ط٢). بيروت - لبنان: دار
الكتب العلمية.

٢. إسكندر، نبيل رمزي (١٩٨٨) م. الاغتراب
وأزمة الانسان المعاصر. (ط١). مصر -
الاسكندرية. دار المعرفة الجامعية.

٣. جعفر، محمد راضي(١٩٩٩م). الاغتراب في
الشعر العراقي المعاصر. (ط١). دمشق
- سوريا: اتحاد الكتاب العرب.

٤. الخاقاني، حسن (د.ت). رموز الغربة
والاغتراب في شعر عبد الوهاب البياتي.
(ط١). العراق: مجلة كلية الآداب،
جامعة الكوفة.

٥. الخشروم، عبد الرزاق (١٩٨٢)م. الغربة في
الشعر الجاهلي. (ط١). دمشق - سوريا:
اتحاد الكتاب العرب.

٦. خليفة، عبد اللطيف محمد (د.ت). دراسات
في سايكولوجية الاغتراب. (ط١). القاهرة
- مصر: دار غريب.

٧. خليف، مي يوسف (د.ت)، ظاهرة الاغتراب
عند شعراء المعلقات (د.ط) . بيروت -
لبنان : دار الثقافة للطباعة والنشر .

٨. سلامي، سميرة(٢٠٠٠م). الاغتراب في
الشعر العباسي - القرن الرابع

الأغتراب في شعر المُتلمِّس الضُّبَعي (٣٣٠)
